

موضوعات الثورة العربية

بقلم عزيز السبعاك

نرى ان المجتمع العربي لا زال يحمل بصورة واضحة تعددا في النظم الاقتصادية والاجتماعية . اذ ان هناك المجاميع البدوية التي تمتزج فيها (المشاعية البدائية) و (الرق) . وهناك مجتمعات (القنانة) والسيادة الاقطاعية . كما ان هناك (الرأسمالية التجارية والصناعية المتطورة) .. الخ .

وكل هذه المجاميع هي الخلفية الحقيقية للوراثية التي لا زال يستغرق فيها المجتمع العربي . فحتى الآن لم تتم تصفية بيئة فسي نماذج التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية البدائية . ولذا فان سلسلة التطور الحضاري تبدو وكأنها منقطعة لانه لم تتوفر انتقالات حضارية بارزة ، بل ظلت قدما المجتمع العربي تراوحا في مراحل أولى في حين انه يتطلع الى مستقبل جديد بذهنية اليسار الغربي .

ومن المعلوم ان هنالك عينات للوضع المذكور حاليا . ومنها عينات اقتصادية تبدو جلية في عدة اشكال : الاشتراك في الممتلكات كما هو حاصل عند بعض القبائل البدوية بوضع مشاعي . والاسترقاق وعلاق (السادة والعميد) في مجتمعات الحكم الرسمي المتطور عن الوضع البدوي . والعلاقات الاقطاعية في المجتمعات التي تتحقق فيها الممارسة الفعلية للاستحواذ الاقطاعي . والانتاج الحرفي والبضاعي البسيط . والحركة التجارية ونشوء البرجوازية في عدة مواقع . وتضخم النشوء البرجوازي بصورة (كومبرادور) وظهور أوليات للاحتكار المنظم .. الخ . ومنها عينات اجتماعية وتتلو عبر التمايزات الطبقية ، اذ ان المجتمع العربي مجتمع متعدد الطبقات . وحجوم الطبقات ودرجات تطورها تختلف بين قطر وآخر ، فهي في (السعودية) غيرها في (الجزائر) ، وهي في (حضرموت) و (البحرين) غيرها في (العربية المتحدة) .. الخ . واذا تلمب الطبقة الفلاحية دورا رئيسيا في قطر معين تلمب الطبقة البرجوازية دورها القيادي في قطر آخر . وكذا تنهيا الطبقة العاملة في امكنة عربية أخرى لتنفيذ مهامها التاريخية كمسؤولة قيادية رائدة . وبذلك فان خريطة الوضع الطبقي في الاقطار العربية تتطلب تبعية سياسية ووضعا سياسيا مختلفا ، اضافة الى ما يجره ذلك من تبدلات علائقية وتغيرات في العادات والتقاليد لا تشابه كليا في جميع البقاع العربية . وهذا بارز جدا : فالعادات في (الكلا) تختلف عن العادات في (تونس) ، والتقاليد في (البادية) غيرها في (الريف) و (المدينة) في (المدينة) ، في حين ان (الريف) و (المدينة) في المجتمع العربي هما انقسام اجتماعي كبير بحيث يقال : (هذا مجتمع ريفي) و (ذا مجتمع مدني) . وذلك دليل على تخلف المجتمع العربي اجتماعيا وعدم اتساق مسيرته الاجتماعية وعدم ترتيب قواها الطبقة الاصلية .

ومنها عينات ثقافية حيث تنتشر (الامية) في مناطق عربية عديدة ، في حين يتحدث مثقف ما في (بغداد) او (بيروت) بمنطق غربي استكمل بواعثه التكنولوجية والعلمية . وحيث تصدر اوامر بتحريم (الفكر) و (حرية الرأي) في اقطار عربية معينة في حين يمارس الفكر اداء واجباته في اقطار أخرى حيث تمتزج في ذهنية البعض أو العديد من المتعلمين والمثقفين (الايدولوجية التقدمية + الروح العشائرية والقبيلية) . وحيث تتلاحم الملاكات (المثالية) و (المادية) دونما تشخيص منهجي محدد . وحيث يجري تفتيت (الثقافة) وتجزئتها غير المبالي حتى تتسارع الالتباسات في توضيح ما هو ثوري وما هو غير ثوري .

وهناك عينات سياسية تتعين في وجود احزاب ومنظمات متعددة .

ان اغلب الشروح التي تناولت موضوع (الثورة العربية) بالدرس والتمحيص كانت تناظر في بدايات ونهايات أكاديمية ، ولذلك ظل مفهوم الثورة العربية يخضع باستمرار لعمليات جلب متعددة ساهمت كلها في اعطاء صور مضللة وغير علمية . ولكن الصدمة التاريخية في (هـ حزيران) ابحاث للكثير اعلان نمط جديد في التفكير يكتسي واقعية ثورية جريئة تتضمن حماية المفهوم الحقيقي للثورة . والثورة العربية ، بحد ذاتها ، عملية تغيير هائلة تضع للمجتمع العربي مقاييس جديدة واسلوبا حياتيا تقدما . ولذلك فهي :
أولا - ثورة حضارية كبرى تدرک ان أية حضارة مستقبلية انما تتجاوز فترات الركود بتمرد واع وجماعي .
ثانيا - ليست بأي شكل من الاشكال انقلابا يتناول السطوح والاعغلفة بل هي تفجير ضخم يخترق السواقع العربي من العمق حتى الوجه .

ثالثا - وهي اذن ، وبحكم الاستقراء العلمي لواقعنا العربي ، ضرورة تقتضيها طبيعة الاحتمالات في صلب مجتمعنا ، وجواب لكل التناقضات القائمة . ونظرا للمسافات الشاسعة بين طبيعة التملك الفردي الاستثنائي المحتكر بشكليه الزراعي والصناعي وبين العلاقات الاجتماعية بين قوى الشغيلة وفصائل الكادحين (الفاعلين الحقيقيين والمجاورين) فان الثورة العربية حل لهذا التناقض دون أي مناص .

رابعا - والضرورة في قيام الثورة العربية هي شرعة تاريخية ثورية من حيث ان التاريخ يستكمل نفسه عن طريق الثورات البشرية التقدمية (الثورات قاطرة التاريخ) . ومثلما تحدث الانتفاضات الثورية الضرورية في مواقع أخرى من العالم ، فان العالم العربي تتسحب عليه هذه العملية التاريخية .

خامسا - ولذا فالثورة العربية تكشفت كواقع ثوري تحريكي وايدولوجي . ولكن هذا الواقع لا زال يحاول تلمس بداياته العلمية الحقيقية ويوطد بعد ذلك اساسه المكسبين حتى تنهيا له سرا قدرة التحرك المزدوجة ، أي التلقائية والمصممة .

نظرة عامة

ان النظر الموضوعي للواقع العربي يكشف حقيقة التطور غير المتناسق للمجتمع العربي . فالمجتمع العربي يمثل (اسلوب الانتاج الاسيوي) مع تداخل المراحل الاجتماعية دون وجود حدود بارزة تسيج التكوينات القائمة (1) فاننا اذ نجد ان المجتمع الاميريكي او الانكليزي او الفرنسي كطراز مكشوف من البناءات الرأسمالية التي تأسست منذ زمن بعيد وبانتظام تاريخي على اشلاء العهد الاقطاعي المنتهي زمنيا ،

(1) الاسلوب الاسيوي في الانتاج مفهوم طرحه (كارل ماركس) في مسودة بحث في عام 1857 - 1858 عن اساليب الانتاج فيما قبل الرأسمالية . وهو في هذا المفهوم يقدم تفسيرا لسقوط الامبراطورية الرومانية وعن تطور المجتمع الصيني وحول اختلاف ذلك عن تطور مجتمعات البحر المتوسط الغربية .. الخ . وقد اذان مؤتم (لينينفراد التبعث في عام 1921 الاسلوب الاسيوي وذلك لانه يعني تهديم (المراحل) الخمس في تطور المجتمعات البشرية مما يؤدي الى تخلخل في الوعي العقائدي .. الخ . (الاقتباس من موضوع للمفكر (مكسيم رودنسون) بهذا الخصوص نشرته مجلة (الهلال) عام 1966 - يوليو .

فهناك القوى الرجعية والمحافظة واليمينية ، وهناك القوى التقدمية واليسارية . وهذه القوى بمجموعها تعيش اختلافاتها الاستراتيجية والتكتيكية وتعاني أزمات متباينة . ولما كانت القوى الرجعية تهيمن على أزمات القوى المتقدمة كقوى مناهضة ، فإن القوى التقدمية التي تعكس شروط التطور العربي وتنصجها عمليا ، خضعت لتأثيرات عديدة تعاونت على نحو أو آخر على تدبيل الكثير من التوجهات الثورية .

ان هذه العيانات كلها تقرر الحقيقة التالية : ان المجتمع العربي يعيش في أقل ما يستوجب بكثير ، أي انه لم يحتل حلقته ومساحته الحضارية المعاصرة . وبين هذا التخلف وبين اللهاث وراء سرعة العصر تبرز أفكار عديدة وتموت أخرى .

ومعنى ذلك ان المجتمع العربي يحيا بشكل مكشوف تناقضيين : التناقض الأول يعتمل بحرارة في أحشائه - بين ما هو بدائي وما هو معاصر ، بين ما هو تقليدي وما هو محدث ، بين ما هو هرم جدا وبين ما هو وليد جدا . أما التناقض الثاني فيبينه ككل وبين القرن العشرين ، أي بين أمة مجزأة وبين عالم تتماسك ثوراته وانتفاضاته العلمية والاجتماعية والبيولوجية . والثورة العربية هي الضرورة المسؤولة عن حل هذين التناقضيين .

وكيف تحل الثورة هذين التناقضيين ؟

الحق ان الامكانية بحل التناقض الخارجي لا تنهيا الا بعد التوصل الى حلول واقعية للتناقض الداخلي . وحلول التناقض الداخلي تعتمد على أساسيات بالغة الاهمية وحاسمة هي :

أولا - ان الحلول ينبغي أن لا تكون فخرية فحسب أي انها حلول على مستوى قومي . وعندما تتأكد نقطة الحلول على مستوى قومي يجب أن لا يفتقد عن الجبال أمران : الأول هو عدم اغفال الجوانب القطرية لعمدا تحت شعار المبالغة في دحر الاقليمية ، بل تولى القضايا القطرية حيويتها الخاصة ضمن الاطار القومي . والثاني هو عدم الاستفراق في التفصيلات القطرية والوقوف عندها فقط بحيث تسمح صورة الأمة نهائيا فذلك جفاء عن العلم والحقيقة التاريخية . ومن ثم فهو أمر غير عملي اطلاقا .

والى هذا الأساس يدخل شعار (الوحدة العربية) لا كسحار خيار بل كحتمية تاريخية تواجه الانفكالك .

ثانيا - ان الحلول الاقتصادية للواقع العربي الجزأ والمتعدد السمات لا يمكن أن تتوافر الا عن طريق واحد هو طريق تجاوز كسل المراحل السابقة للاشتراكية (من رق الى اقطاع الى رأسمالية) . وهذا التجاوز حاصل تاريخيا عاشته أغلب شعوب العالم وتعيشه باصرار . لانه كليل بالفاء كل العبوديات المتعددة الاشكال . ولما كانت جميع الاقطار العربية تنسحق تحت وطأة استعباد اقتصادي داخلي ، فمن الضرورة اطلاق حرية الانسان العربي اقتصاديا ليمارس مسؤولية مباشرة ازاء واقعه . والاشتراكية العلمية ، كونها مرشدا نظريا في العمل والتغير ، تستطيع أن تتكفل باحداث التحولات المنشودة . ولكن يتبادر السؤال التالي : هل ان الانتقال الى الاشتراكية يتم حرفيا هكذا وفي أي قطر عربي ؟ الواقع ان هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه بواسطة تحمس ايدولوجي أو فورة (اشتراكية) لان العالم لم يشهد ولن يشهد انتقالا مباشرا من الاقطاع أو الرق الى الاشتراكية .

ولهذا فان لكل قطر عربي أن يستن طريقه العملي للانتقال الى الاشتراكية دون افتراضات مذهبية أو تجريبية . وهذا التعدد في طرق الانتقال الى الاشتراكية يتكافل بين قطر عربي وآخر بشكل متلائم ومتلاحم ، بحيث ان أي (اشتراكية في قطر عربي) لا تكون اشتراكية حقا ما لم تساهم عمليا في انصاج الشروط الاشتراكية في القطر الآخر .

ثالثا - ان هذه الحلول الداخلية لا تتوقف الا بعد الازالة الكاملة للعبوديات المفروضة من الخارج . أي بعد سلخ كل السيطرات الامبريالية أو الكولونيالية عن الجسد العربي حتى تتواجد للانسان العربي ظروفه التي يمتلك فيها حرية التصرف والارادة والاختيار

لنشئة غده .

رابعا - تظل كل هاتيك المسائل التقدمية معرضة لاختناقات وتوقفات عسيرة شائكة ما لم تبادر الى خلق مناخ الضل الديمقراطي . فالديمقراطية عندما تظهر كاسلوب وعلاقة بين القوى التقدمية المختلفة فمعنى ذلك انفراس نبات المستقبل الحقيقية المرادة .

والاختلاف بين القوى التقدمية ولبناتها التي تشكل اساسها الطبقي ، وكذا اختلافها ايدولوجيا أو تكتيكا هو طبيعي تماما ، لانه يعكس التعدد في المراتب الطبقة . فإضافة الى التقسيمات الطبقة العامة تخرج بين حين وآخر مراتب وأشكال طبقية داخل الطبقة الواحدة نفسها . وحيث ان المسؤولية الثورية عن الواقع العربي لا تستلزم بحزب واحد أو بقوة واحدة فان التعايش الديمقراطي الجبهوي بين القوى التقدمية في داخل القطر العربي الواحد أو بين قطر وآخر هو الطريق المأمون الذي يضمن للثورة العربية اجتيازا مفتوحا شديد الفعالية .

وبعد أن يتم انجاز رئيسي لوصفات المجتمع العربي الافضل نستطيع - كأمة عربية - أن نتحدث عن مقولة « نوبني » في (التحدي الحضاري) . وهذه المقولة اعتنقها بعض السياسيين القوميين العرب على أساس انها تنتظر دفعا تاريخيا للامة العربية . والواقع ان مسألة (التحدي الحضاري) لا نستطيع أن ندخل فيها كطرف يتكافأ مع الخارج . أي أننا ومن خلال عملية التحدي لا نستطيع ان نتمسك بأسلحتنا السابقة . ولذا فممن المحتمل ان (التحدي الحضاري) بالنسبة لنا انما يستعمل كإثارة لاطافة كبيرة يمكن اكتسابها وقتيا للحصول على انضمامات تأييدية واسعة . ولكن عندما تنتهي الطائفة وتسقط البرافع يتضح مدى الواقع المهلهل الذي تفرضه علينا الزعامات التقليدية .

وعندما نتساءل : متى يحق لنا أن نكون طرفا في التحدي الحضاري ، طرفا حقيقيا متكافئا مضمون الانتصار ؟ فالجواب في ان ذلك لن يكون الا عند ميلاد المجتمع العربي التقدمي الحقيقي . ففي هذا الميلاد نتحدى كل عالم البطش والعبودية والاستغلال ، فنحن نعرف ان (روسيا القيصرية) لم تدخل التحدي الحضاري بشكل ساطع ولكنها دخلته وبكامل استعداداتها الحضارية بعد ثورة أكتوبر . وكذلك مجتمعنا العربي لا يدخل التحدي كئد وطرف مساو باقطاعيه ورجعييه وجلالزة السياسات الرجعية والانتهازية والعميلة فيه . انه يستمد للدخول ويدخل فعلا عندما تومض في العيون العربية شعاعات شمس الحرية والاشتراكية . وحينذاك تحل المعادلة وكل المعادلات من صالحنا وصالح البشرية .

والمعادلة الأولى التي تستوجب الكلام هي اننا في الامس وفي اليوم تفرض علينا التحديات ، وكل أجوبتنا ازاءها خافتة أو محدودة أو وقتية . لكننا في الغد نريد أن نمسك المقود فتفرض أمتنا وجماهيرنا التحديات ضد أعداء البشرية . وهذا الانتقال هو الذي يخول لنا التحدي عن صفة التحدي الحضاري لا عنه بشكله الاطلاقي . ان ثلاثة أرباع الجماهير العربية اليوم لا تساهم في وضع تاريخها ، ولذا فهي تجهل أصلا كل التحديات . لقد تربت هذه الجماهير وتحت ظل مخدرات عديدة تربية غير مسؤولة عصريا وعالميا . أي انها توقفت ضمن رفعة متطلباتها اليومية . أما الآن فان علينا أن نرفض ذلك . فالتحدي الحضاري ليس لغة المثقفين أو السياسيين بل يجب أن يتحول الى لغة تتحدث بها كل الجماهير العربية . والجماهير لا تتحدث الا بعد أن تتشقق ، ولا تتشقق الا بعد أن تقاوم الجوع ، الا بعد أن تتحرر في الداخل . وبعد ذلك يكون جوابها شخصيا .

واقع الثورة العربية في تنفيذ مهامها :

ان الحركات الثورية الكبرى التي أودت بالحكم الملكي والنظم الرجعية والعميلة في مصر والعراق وسوريا والجزائر واليمن أكسدت

موضوعات حول الثورة العربية

— تمة المنشور على الصفحة ١٠ —

بزوغ فجر نوري جديد على الامة العربية . والرابطة التي تشد ثورة في قطر معين بالثورة في القطر العربي الآخر توضح بما لا يدع مجالا للجدال ان الثورة العربية كل مترابط يرسم أبعاده الثورية في جميع مرتكزات التنافسية حتى يعم التيار الثوري الاشتراكي العربي جميع المساحات الجغرافية الجزاة تحت التسمية القومية العربية .

ولكن هذه الثورة التي تتحمل مسؤولية خلق الوطن العربي الحر والانسان العربي المتحرر تعرضت للنقد ، وهذا شيء ايجابي جدا بالنسبة للثورات . لانه بالنقد تقوم الحركات الثورية وتتصلب . ومبررات النقد عديدة . فهناك المد الرجعي والطائفي والشارطي على نطاق اقطار عربية عديدة رسميا أو شعبيا . وهناك الجيوب الاستعمارية التي تتمثل بأشكال مختلفة من الصلات . فالثورات الاستعمارية في شبه الجزيرة العربية لا تزال تعكس مظاهر (الاستعمار القديم) وماجريات الاحداث في بعض الاقطار العربية لا تزال تشير الى أكثر من اصعب استعماري يدير سياسة (البلد) ! . كما ان هنالك المد الصهيوني الذي ابندا كاستعمار استيطاني محكوم عليه مسبقا بالفشل ولكنه وعكس التوقعات استطاع أن يلحق بالارض المحتلة أراضي أخرى جديدة . ان ذلك كله يؤكد أن أسهم الثورة المضادة لا تزال رائجة وذات قدرة (عصرية) على العمل .

ومن الطبيعي اننا عندما نتحدث عن الثورة العربية لا نعني بذلك كثيرا من أخطاء الحركات الثورية ، وهي بذلك تحول هذه الاخطاء الى نقاط قوة بالنسبة لها . ولذا فان سمة الوضع السياسي في الربع الثالث من القرن العشرين ان تراجع وانحرافات بعض القوى الثورية في العالم ، أعطت الفرص للامبرياليين وزمرهم لحقن أنفسهم بموصل الفتوة ، وبذا انجزوا بعض المكتسبات واستطاعوا فرض خسارات مؤقتة على معسكر الثورة . ولذا فالسؤال الآن هو : ما الخطأ الذي جعل الثورة العربية غير مسووفة - نوعا ما - في تحقيق مهامها المباشرة ؟

ومن الطبيعي اننا عندما نتحدث عن الثورة العربية لا نعني بذلك الحركات العفوية للجماهير العربية بل ان النقد يتطلب الجواب من خلال التركيب الايديولوجي والطبقي للقوى السياسية التقدمية في الاقطار العربية . وهذا التركيب - اجمالا - يؤكد انتساب أغلب التيارات التقدمية الى معسكر البرجوازية الصغيرة ، سواء أكان هذا الانتساب ايدولوجيا أو طبقا . وان المرحلة التي ينشط فيها دور البرجوازية الصغيرة هي المرحلة الانتقالية (شبه الاقطاعية - شبه البرجوازية) وتكون هذه القوى البرجوازية الصغيرة ثورية بحكم تمردها على العبوديات الاقطاعية وبحكم تطلعاتها التجديدية . ولذلك توفر ما يلي من مضاعفات :

أولا - اختفت (النظرية الثورية المتمكنة على الممارسة الثورية الفعالة ، وحل محلها الفكر البرجوازي الصغير الذي ينزع الى (اليمينية) تارة والسي (المفامرة «اليسارية») تارة أخرى ، ويتردد بين الاصلاحية والراديكالية والنقابية ، وينأى عن الرؤية الثورية الصحيحة .

ثانيا - غياب الدور الفعلي للجماهير العربية الكادحة . فالطبقة العاملة لم تواتها فرصة احتلال مكانتها الجديرة بها ، والطبقة الفلاحية ظلت شبه معجدة وشبه معزولة عن تاريخها . ولذلك دخلت ميدان القيادة قوى أخرى قد تنسب الى الكادحين أحيانا وأحيانا أخرى يظل ذلك الانتساب شكليا . وأغرقت التنظيمات السياسية بمناصر البرجوازية الصغيرة وناقضاتها الحادة .

ثالثا - فرضت البرجوازية الصغيرة أخلاقتها الازدواجية التي تجمع الشيتين : الدفاع عن قيم تقدمية اشتراكية من جهة وبوسائل بورجوازية من جهة أخرى . وبذا نمت في الجو العربي نوعيات غريبة من عقليات المناورة والديماغوجية والوصولية والتوفيقية و (الشانتاج السياسي) . وكثرت وسائل البطش والتنكيل ونشر الاغتيال وتحولت الديمقراطية في العمل السياسي الى نزعة ادهابية . وحدت مثل هذه الحساسيات والاختلافات بين قطر عربي متحرر وآخر . وبذلك توفر للعدو الصهيوني والامبريالي وسط صالح للتخريب والتآمر بغية الاطاحة بالانظمة التقدمية الحاكمة . اذ ان تمزق الجبهات التقدمية في داخل الاقطار العربية وكذلك انعكاس ذلك على الجبهة التقدمية العربية المفترضة هو تهيئة ثمينة يطمح لها أعداء الشعب العربي لامرار مؤامراتهم وتسهيل الطريق أمام الخصوم الخارجيين لامة العرب وحضارة العرب .

ضياح البرجوازية الصغيرة بين الاستراتيجية والتكتيك :

ان البرجوازية الصغيرة لا تمتلك أفقها الاستراتيجي وذلك بحكم كونها ذات وجود ذاتي محدود . فوقية البرجوازية الصغيرة متاينة من كونها البداية الاولية للشعوب البرجوازي ، وهي على هذا الاساس ليست طبقة ثانية محددة بل هي مرتبة من المراتب الطبقة تنحصر بين بنيتها الاجتماعية المصفوطة وبين إيمانها المختلفة . ولذلك فهسي لا تستطيع أن تعدد استراتيجية ثورية مشهودة ، لان الاستراتيجية كخط رئيسي يحيط بالمرحلة ويستقطب كل شعاراتها لا يمكن توفرها عند فئة طبقية قلقة من حيث ان القلق وجوديا لا يمتلك المكنة على تحديد رواسخ شديدة الضرورة والوجوب . أما من ناحية (التكتيك) فان البرجوازية الصغيرة تبرع في هذه المسألة . فهي بحكم دهانها اليومي وقوة حاسة الشم لسديها ووعيتها بمصلحتها تضع تكتيكات جيدة . ولكن نجاح هذه التكتيكات اذا تحققت نجاح ظاريء ، لان التكتيكات الجيدة تنعز الى النغليش الحتمي اذا لم ترتبط باستراتيجية مشرفة . ومن هنا تبدو مهارة البرجوازية الصغيرة في المناورات والالعب السياسية . ولما كانت الثورة العربية ثورة ذات طاقة مستمرة وديومة متفجرة ، فهي بحاجة الى تعيين شعاراتها الاستراتيجية الكبرى . وهذه الشعارات الاستراتيجية تتعلق بالراحل التي تعيش المسائل الاستراتيجية بالنسبة لها في تعميم واضطراب . ولقد كان واقعا ان البرجوازية الصغيرة تقود الى سلسلة من الاعمال الانهزامية، وهي اذ تتحدث كأي (يساري) مغرم لا يهمها أن ترتكب أشد الاعمال يمينية . فعلى نطاق القوى التقدمية كان مفعول البرجوازية الصغيرة واضحا جدا ، فحيث ان من الواجب التوصل الى لقاءات مثمرة بين هذه القوى - على اعتبار انها مشتركة في تخطيطها الاستراتيجية ولوجود عدو خطير على الابواب (الصهيونية) - نجد انها ظلت تلوك الخلافات القديمة أو تفعل ما فعلته (بنلوب) لطرده عشاقها ، تسج نهارا وتحل النسيج ليلا ، ويولسيس لا زال في الغيب ! وبديهي أن ذلك السلوك مشتق من ترسانة الاخلاقية البرجوازية الصغيرة التي تعتبر كل تصرفاتها وسلوكيتها ولقاءاتها مجرد تكتيكات . وحيث تجهض الاستراتيجية بتحويلها الى تكتيك فانه يصعب الاتفاق على أبسط المسائل .

ان البرجوازية نفسها قوة ثورية - من موظفين الى عمكرين ثورين الى حرفيين وكسبة صفار .. الخ - ولكنها لا تستطيع قيادة الجماهير . بل انها فقط تتمكن من تادية واجباتها الثورية في العمل تحت قيادة الطبقة العاملة وحليتها المباشر والامين ، الفلاحين . وهي اذ تنضوي تحت لواء العمل الثوري ، انما تتربى وتستطيع أن تقذف بجنورها وبقايا تأثير قوة الاعتيادات القديمة الى البحر . وبذلك تتحرك مسيرة الثورة العربية بثقة لانها اذ تتحسن قواها الاصلية كما وكيفا وتستقطب حولها جماهيرها الحقيقية بقيادة الطلائع الكفاحية الصامدة لا تجد صعوبة في تعيين أفقها الاستراتيجي وأقواس عملها

مذكرات مالكولم X

زعيم الزنوج المسلمين في اميركا

في نيسان ١٩٦٥ ، اغتيل مالكولم X زعيم الزنوج المسلمين في اميركا . وقد كان وسيبقى واحدا من اسجع زعماء الحركة الزنوجية في اميركا واكثرهم اصالة وابعدهم شهرة . وقبل ان يقتل بعدة اشهر (وكان يتوقع ذلك) امل على الصحفي «الكس هالاي» سيرته الذاتية التي هي اعجب سيرة لزعيم !

ذلك ان مالكولم X لا يخفي في سيرته شيئا من اسرار حياته ، بل يتحدث بكل صدق عن شبابه في الكوخ الذي كان يعيش فيه في حي «هارلم» حيث كان يتعاطى المخدرات والخمر ويمارس السرقة والسلب ويعيش عيشة الانحلال . وفي السجن الذي قاده اليه اعماله اللصوصية ، اكتشف فجأة السقوط الذي يعيش فيه ويعيش فيه كذلك كل افراد شعبه الزنوج . وهناك اعتنق الاسلام وانضم الي «الشيطن الابيض» المسؤول عن سقوط الزنوج في اميركا .

ويتحدث مالكولم X في مذكراته الرائعة عن حياة السود ومشاكلهم والتمييز العنصري الذي يمارسه عليهم البيض من الاميركيين ، وعن تمردهم وثورتهم التي نشاهد اليوم بعض مظاهرها في عدد من مدن اميركا الكبرى ، ويحلل في نفاذ وعمق الظروف السياسية والنفسية التي يعيش فيها الزنوج الاميركيون ، وعن ايمانه بالاسلام كدين يحارب التمييز ويدعو الى الاخوة الحقيقية بين الشعوب والامم .

وقد وصف روبرت كندي هذا الزعيم بأنه الوحيد بين زعماء الزنوج الاميركيين الذي يملك «مغنطيسية» عجيبة !

مذكرات رائعة مؤثرة عن حياة مضطربة عجيبة لرجل عبقرى يعتبر شاهدا على فترة خطيرة من تاريخ الزنوج الاميركيين الذين يكافحون من اجل تحريرهم ، ويقفون بصلاب في وجه سياسة اميركا الخادعة . صدر حديثا - الثمن ٥٥٠ ق.ل

افقيا وعموديا . ويكون أي انجاز لها في أمة عربية هو جزء من سلسلة الاعمال المضادة للصهيونية والامبريالية . فمهمة الثورة العربية اليوم ليست اذن في رفض البورجوازية الصغيرة كمجموعة ثورية مهمة بل في ازاحتها فقط عن القيادة لتتحول الى حليف ثوري . ومتى أنجزت تلك المهمة فان امورا وتغيرات كثيرة يترتب على كل التنظيمات العربية التقدمية الاخلاص لها .

الفدائيون طليعة من طلائع الثورة العربية :

ان انبثاق الحركة الفدائية في الارض المحتلة أكد قدرة الجماهير العربية على تحرير أرضها أو أكد ان الانسان العربي قادر على تخطيط وسائله الثورية لمجابهة أعدائه الحقيقيين . وهذا الانبثاق يعكس تحولات هامة في الكيفية النضالية للجماهير العربية . لقد كانت النظرية العربية التقليدية - السائدة - تعتمد على فكرة الجيوش النظامية التي تقوم بعملية التحرير كفكرة وحيدة رسميا . وبما ان تحركات الجيوش العربية مرهونة بأوامر واشارات الحكومات العربية المتباينة فقد ظهر للوجود رسميا ان الشعب العربي في فلسطين والارض المحتلة في (هـ حزيران) لا يمكن أن يمارس دوره الحقيقي ، علما بان هذه الممارسة طبيعية وقديمة ، ولكنها لم تكن بذلك الشكل الذي يكفل لها النمو والتطور من قبل بعض الحكومات العربية . وبمعنى آخر تأكد ان أي انظار لموقف بعض الحكومات العربية انما يجعل من هذه القضية الخطيرة قضية مؤجلة . ولذلك فقد انبثقت الممارسة الثورية بشكل جلي رائع يتعدى حدوده وابعاده القومية الى الدرجة العالية . وكما ان الحركات الثورية في العالم تبلورت في طرز مختلفة من نوعيات النضال وقدمت حركات مشرفة في المقاومة كحركات (انجويريلا) و(البارتيزان) ، أو الانصار ، و(فرق (الماكي) ، و(فرق (الكوماندو) وحركات التحرير العديدة ، فان الثورة العربية قدمت هذا النموذج المدهش من المقاومة . وبتقديمها هذا النموذج ارضت لتغير جديد ويجابي في تسلك الثورة العربية . اذ ان العمال والفلاحين والجنود وكل الفصائل الثورية المخلصة دخلت خطوط النار ووضعت البرجوازية الصغيرة على المحك . فامام حقيقة المعركة تنمفي وتهاوى كل أشكال التردد والذعر . وهذا الطابع المسلح العنيف الذي تقوم به قطاعات شعبية ثورية صلبة والسذي يعزز نفسه بالنظرية الثورية والتجارب الثورية الكبرى في العالم هو اغناء للثورة العربية ودفع لها لانه يتناول النضال الامامي ضد اعدى عدو للشعب العربي - الصهيونية - وهو يتكافله وتلاحمه مع نضالات الجماهير العربية في اقطارها يحقق انجازات ثورية تعجل في استيلاء المجتمع العربي التقدمي الاشتراكي . وقد اتخذت الجماهير منذ البدء موقفا حازما في دعم العمل الفدائي وتفسيخته باستمرار ، وادانت بجرأة كل المواقف السلبية أو التشكيكية بالقدرة الثورية عند الفدائيين العرب . فالحركة الفدائية اذن في الارض المحتلة هي عينة جيدة من عينات الثورة العربية الكبرى . وقد نضجت خلالها كل المبادئ الثورية في التحرر والوحدة والاشتراكية والديمقراطية وتجاوزت كل التناقضات الحاصلة بين القوى التقدمية العربية واعلنت ان الثورة لن تكون بأوامر واجراءات رسمية يقوم بها موظفون أو مكتسبون أو متحدون لبقون أو أحزاب برلمانية ليبرالية أو مخدرة بنشوة الكسب الذاتي بل هي ثورة الشعب حيث تعمل فصائله الطليعية السلاح وتقاتل بعزم من أجل حريتها وشرف عيشها .

وان العالم لا بد أن يشهد الثورة العربية كحقيقة قائمة تفسي النضال العالمي من أجل الحرية . ومهام هذه الثورة تتوزع على جبهتين : ففي الداخل يجري تطهير جدي للواقع العربي من كل الفئات المأجورة والمعادية لمطامح الشعب المشروعة . وفي الخارج تتمثل في دحر الامبرياليين ودعم كل الحركات الوطنية والتحررية في العالم . وعبر هذه الملحمة تتفتح أعين العالم على الثورة العربية كارتياح لمواطن حضارة عربية تقدمية جديدة .

عزيز السيد جاسم

العراق